"الكومندان"؛ أبو حفص المصري رحمه الله

الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أحمدك ربي حمدا يليق بجلال وجهك وعظيم سلطانك، لا إله إلا أنت ولا معبود بحق سواك اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا.

إخواني في الله أحدثكم عن علم من أعلام الجهاد في هذا الزمن الذي ضيع فيه كثير من شباب الإسلام هذه الشعيرة المباركة، أحدثكم عمن زرع الرعب في قلوب أعداء الإسلام فطارت قلوبهم خوفاً من مجرد ذكر اسمه، أحدثكم عن رجل شارك في رفع رأس الأمة الإسلامية عالياً في السماء بعد ما كادت أن تكون أحقر أمة بسبب بعدها عن الجهاد في سبيل الله وخيانة حكامها عليهم من الله ما يستحقون.

أحدثكم عن أبي حفص المصري أو كما يحلو للشباب أن يسموه بأبي حفص "الكومندان"[1] واسمه: صبحي عبد العزيز أبو ستة الجوهري، يعرفه الأمريكان أكثر منا لما أثار في قلوبهم من الرعب، ولد وترعرع في أرض الكنانة في 17 يناير عام 1958م، وبعد أن كبر أسدنا وأصبح شاباً التحق بالجهاد الأفغاني عام 1402هـ ليكون شعلةً من شعل الجهاد هناك وليفيد إخوانه في المجال العسكري الذي كان متخصصاً فيه بحكم خبرته في الجيش المصري، فعكف على تدريب الشباب وتعليمهم ما ينفعهم في الدنيا والآخرة.

وشارك في معارك مأسدة الأنصار التي نصر الله فيها المجاهدين نصراً عزيزاً مؤزراً على أعتى وأقوى قوة على وجه الأرض في ذلك الزمان، فلقد استمر القصف بالطائرات وراجمات الصواريخ أياماً متواصلة بدون توقف، بل حتى المدافع الصغيرة من أمثال مدفع الهاون 82 لم تكن تتوقف أبداً كل ذلك الوقت؛ كي يكسب الجنرالات في الجيش السوفياتي التحدي الذي ضربوه على أنفسهم

[1] يطلق على القائد الميداني في القوات الخاصة في اللغة الأفغانية.

مع الرئيس غورباتشوف حين أمرهم بالخروج من أفغانستان بسبب فشل الحملة عليها، فطلب منه الجنرالات منحهم آخر فرصة ووعدوه بالوصول إلى ممر خيبر الاستراتيجي على الحدود مع باكستان بعد سحق المجاهدين من مرتفعات بكتيا وأنى لهم ذلك؛ فقد ردهم المجاهدون بثلة قليلة لا يتجاوزون سبعين شاباً من شباب الثانويات - كما يحكي الشيخ أسامة بن لادن حفظه الله - وذلك بفضل الله وحده، لقد كان الشاب العربي النحيل الجسم الصغير السن برشة واحدة من سلاح البيكا يطرح ثلاثة أو أربعة من العلوج الروس في القوات الخاصة الكوماندوز الذين كانوا - كما يخبر الشيخ أسامة حفظه الله - لغة الإشارة في المعركة عندهم كانت بأصوات العصافير والطيور في المنطقة، بل كان الشاب يتفاجأ بظهورهم فجأة أمامه لم يعرفهم من شدة تمويههم أنفسهم. لقد كانت معركة عصيبة شاركت فيها أفضل القوات الروسية وحوّطوا المنطقة بأحزمة كثيرة من الجنود وبطاريات الصواريخ، لكن الله عز وجل أبى إلا أن ينصر عباده الموحدين؛ ولتتحقق الآية الكريمة {إن ينصركم الله فلا غالب لكم}، وقوله جل وعلا {كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين}، ولقد أبلى بطلنا في المعركة بلاء حسنا كما يخبر عنه من عاشروه في تلك المعركة ولم يرزقه الله الشهادة في سبيله في تلك المعركة لحكمة يعلمها جل وعلا ولكل أجل كتاب.

وبعد أن انتهت معارك جاجي شارك في معارك جلال آباد القوية حيث كان يدير أسلوب حرب العصابات ضد الشيوعيين، فكم دمر لهم من طائرة، وكم فجر لهم من دبابة، وكم قتل من أعداء الله، وكم أراق من دماء الملحدين، فلله دره من مجاهد صنديد بطل شجاع غير هيّاب للعدو.

وبعد أن انتهى الجهاد في أفغانستان وانقلب إلى قتال بين الأحزاب على الكرسي لم يشارك في هذه الفتنة، بل ذهب مع رفيق دربه وحبيبه الشيخ أسامة بن لادن حفظه الله إلى السودان ليعد العدة لتحرير الأمة الإسلامية من الذل والهوان التي تعيشه وليجهز لقهر العدو الذي جثا على صدر أرض النبوة والرسالات - أرض محمد صلى الله عليه وسلم - واستباح بيضتها وقدسيتها.

وفي أول خطوة لهذه المعركة الحاسمة قاد الشباب إلى أرض الصومال وأوجادين التي نزل بها الأمريكان ليستبيحوها كما استباحوا جزيرة العرب من قبلها، في أول مواجهة مع العدو الأمريكي الجبان؛ ولم تدم المعركة طويلا فبمجرد معركة واحدة مع المجاهدين الأبطال - بعد أن نكل بهم الصوماليون الأبطال الأشاوس - ضربت فيها طائرة هليكوبتر وقتل فيها عدد قليل من الجنود الأمريكان!! فروا في ليل أظلم لا يلوون على شيء وخرجوا من أرض الصومال يجرون أذيال الهزيمة؛ ليثبتوا للعالم أنهم ما هم إلا قوة كرتونية سينمائية ليس إلا؛ لتنتهي أسطورة "أمريكا التي لا تهزم".

وبعد ذلك تأكد لقادة تنظيم القاعدة المبارك - الذي كان أبو حفص أحد المؤسسين البارزين له - أنه بإمكانهم قهر وهزيمة أمريكا وبإمكانيات بسيطة، فهي ضعيفة وأضعف مما كانوا يتوقعونه؛ إذاً لا بد من إعداد الشباب للمعركة الفاصلة مع أمريكا وإنشاء معسكرات تدريب لهم.

وحيث أن الحكومة السودانية خانت الأسس والمبادئ التي وعدت ربها بها - أولاً - ثم شعبها الأبي الصامد، وطلبوا بناء على ضغوط أمريكية من الشيخ أسامة ومن معه مغادرة أرض السودان العزيز بعد كل الذي قدمه لهم من خدمات راقية وإصلاحات واسعة عجزت الدولة أن تقدمها للشعب السوداني العزيز؛ اضطر الشيخ ومن معه من الأبطال مغادرة السودان إلى أرض الهجرة والجهاد أرض أفغانستان الأبية مرة أخرى ليبدأ المرحلة التي طالما انتظرها هو ورفاقه الميامين.

فأنشأ المعسكرات هناك بعد أن هيأ الله لهم حكومة إسلامية تطبق شرع الله وتوالي المؤمنين الصادقين وتعادي أعداءه، حكومة قامت على تطبيق الشريعة الإسلامية الغراء منذ أول يوم حكمت فيها أفغانستان حكومة تدعى "إمارة أفغانستان الإسلامية"، وأميرها أمير المؤمنين الملا محمد عمر مجاهد حفظه الله ورعاه، فبدأ الإعداد وتوافد الشباب المؤمن الصادق من كل حدب وصوب واكتملت أولى الخطوات الحثيثة.

ووجهت ضربة مباركة لهبل العصر في الصميم الأمريكي في عملية هزت العالم أجمع، حيث ضرب مركز الاستخبارات الأمريكية في أفريقيا "سي آي ايه" ودوّت

صيحات التكبير في أفغانستان والعالم الإسلامي في أول ضربة للمجاهدين الأبطال لرأس السرطان ورأس الكفر أمريكا، ولا عجب أن علمنا أن مخطط العملية هو الأسد الهصور أبو حفص الكومندان الذي هز العالم أجمع بهذه العملية المباركة المحكمة.

وتوالت وفود الشباب للإعداد في أفغانستان بعد هذه العملية المباركة من كل أقطار الدنيا؛ عربهم وعجمهم، بيضهم وسودهم.

وكالعادة كان أبو حفص رحمه الله كالنحلة التي لا تهدأ ولا تكل ولا تمل من العمل، فهو المسؤول عن المعسكرات، وهو المسؤول عن العمليات المباركة، وهو المسؤول عن الأمور المالية؛ فهو الساعد الأيمن للشيخ أسامة حفظه الله ورعاه.

وتنامى إلى أسماع الأمريكان إسم أبي حفص وانجازاته وبطولاته وصولاته وجولاته؛ فأنزلوا اسمه على قائمة المطلوبين للبطش الأمريكي وكان ترتيبه الثاني في القائمة بعد الأسد أسامة بن لادن حفظه الله ورعاه، حيث تولى نيابة الشيخ أسامة بعد استشهاد القائد أبي عبيدة البنشيري، وعلم الأمريكان بخطورته وبأسه وخبرته، فخططوا سراً لاغتياله وحاولوا وحاولوا، ولكن حفظ الله جل وعلا يحول دون تحقيق مآربهم.

وفجرت المدمرة كول في عدن؛ وكان للأسد نصيب كبير في التخطيط والترتيب لهذه العملية المباركة، التي ما إن سمع بوقوعها الشيخ أسامة بن لادن حفظه الله حتى أخرج سلاحه الكلينكوف وأطلق طلقات في الجو ابتهاجاً بوقوعها، وصاح بأعلى صوته: (هذا دمك يا محضار... هذا دمك يا محضار) - يقصد أنه قد ثأر للشيخ أبي الحسن المحضار من الأمريكان الذين قتلوه ظلماً على يد الجزار العميل علي عبد الله صالح عليه من الله ما يستحق –

وكان نصراً عزيزاً مؤزراً؛ فهذه المدمرة اللعينة كانت متوجهة لمساعدة اليهود ضد إخواننا المسلمين في أرض فلسطين حرسها الله في عز المواجهة والانتفاضة المباركة ضد اليهود الملاعين، وكانت ضربة موفقة أظهرت خيانة الدول التي تدعي أنها تقف في صف المسلمين الفلسطينيين وسفن العدو الحربية وحاملات

طائراته ومدمراته العسكرية ترسو في بحورهم الإقليمية، فلعنة الله على الكاذبين ولعنة الله على كل خوان أثيم.

وبعد هذه العملية المباركة بدأت الاستعدادات العسكرية الأمريكية لضرب المجاهدين في أفغانستان سراً، وبحمد الله تعالى اكتشفت هذه التحركات من قبل المجاهدين فكان لا بد من امتثال الخطة العسكرية - أفضل طريقة للدفاع هو الهجوم - وفعلا تحركت الجهود المباركة بأيد متوضئة لضرب العدو ضربة هائلة في عقر داره ومركز اقتصاده بل ومركز استخباراته ودفاعه، وتولى المسؤولية العظيمة شهيدنا رحمه الله، فاختار الشباب المخلصين لهذا العمل وأعدّ وخطّط وذكّرهم بالله ووجههم وفوضهم إلى بارئهم وودعهم.

وتوجه الأبطال إلى مركز الكفار لا لِيَفْجُروا فيه ويفسقوا كما يفعل كثير من الشباب اليوم؛ بل توجهوا إليه ليسحقوه واستعانوا بالله عز وجل وتوكلوا عليه وحددوا الأهداف بدقة واختاروا اليوم الموعود لتنفيذ العمليات.

وهناك في أرض الرباط كانت المجاهدون يتضرعون إلى الله أن ينصر إخوانهم وأن يوفقهم وأن يفتح الله على أيديهم، واستجاب الله دعاءهم ووقعت الضربة الهائلة مدوية كما خطط لها وكما رتب بل وأعظم، وعلا التكبير في أرض الأفغان على هذا النصر التاريخي المشهود وعمت الفرحة جميع أجزاء الدول الإسلامية وابتهجت النفوس ووزعت الحلوى وبكى الفلسطينيون فرحاً على أن هيأ الله لهم من ينصرهم ويأخذ بثأرهم ويدافع عن حقوقهم المسلوبة ويغضب لبكاء عجائزهم وأطفالهم وشيوخهم.

فالحمد لله على النصر المؤزر على هبل العصر أمريكا اللعينة والشكر لله - أولاً - ثم للرجال المخلصين الأخفياء الأنقياء الأطهار العاملين بكل جد خلف الأستار، ومنهم شهيدنا البطل أبو حفص الكومندان رحمه الله.

وبعد هذه الضربة الموفقة؛ جن جنون أمريكا وحارت عقول مفكريها العسكريين الذين بقوا - بعد أن قتل كثير منهم في مبنى البنتاغون - وطاشت أفكارهم وعقولهم وتنادى الصليبيون فيما بينهم للثأر من أسود الله الرابضة في أفغانستان واصطحبوا معهم كل الدول، بل حتى

أحباشهم وعبيدهم اصطحبوهم معهم لهذه المعركة، "فإما معنا أو ضدنا"، وبطبيعة الحال العبد يتبع سيده، وانضمت حكومات "الدول الإسلامية" لهذه الحملة، في أكبر حملة صليبية على أرض الإسلام منذ بعثة محمد صلى الله عليه وسلم.

وكان أبو حفص رحمه الله في هذه الأثناء يخطط لعمليات أخرى، ولم يقل قد أعذرت أمام الله عز وجل بهذه الضربة الكبيرة، فنفسه أكبر من هذه المقولة...

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

فجلس يخطط ويعد ويجهز الشباب بكل ما يملك من خبرات، فهذه ساعة الصفر ولا بد من كسب المعركة، فهي معركة بقاء أو فناء، فلله درهم من رجال.

وبدأت الحملة الصليبية على أرض أفغانستان وحلمها أن تسحق جميع الدول الإسلامية بدءا بأفغانستان حتى آخر دولة إسلامية، وبدأ القصف شديداً على أفغانستان؛ تلك الأرض الطاهرة، تلك الأرض التي غالباً ما تكون مقبرة لمن يغزوها، وهي اليوم مقبرة للأمريكان بحمد الله رغم التعتيم الإعلامي الكبير، وتركز البحث عن أسود الله أسامة ورفاقه فهم يريدون القضاء عليهم بأي شكل من الأشكال، فاستخدموا القنابل الطنية التي تزن سبعة أطنان، وللأسف الشديد كانت الطائرات تقلع من بلاد الإسلام لتضرب المسلمين وتريق دماءهم.

واشتد البحث عن الشيخ أسامة وإخوانه بعد مضي شهر من بداية الحملة على أفغانستان واستعانوا بالجواسيس والعيون لترصد المجاهدين، وألقوا المنشورات التي تعد بالملايين لمن يدل على الشيخ أو أحد إخوانه، يريدون أن يستغلوا فقر الأفغان لشراء ذممهم ودينهم، {ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين}.

ولم تهن عزيمة أبي حفص رحمه الله بعد أن اشتد عليه الطلب بل ظل يخطط ويعد الشباب ويجهزهم لعمليات موجعة للأمريكان رغم ما كان يعانيه في أواخر أيامه من ألم شديد في عظامه في سبيل الله، وكان ينصح الشباب بعدم التعرض للبرد الشديد فقد أصيب

بالألم في عظامه أيام معارك جاجي حيث كان شاباً ولا يبالي بالبرد فأثر عليه ذلك في الكبر رحمه الله، وأكثر من الدعاء لله عز وجل بأن يرزقه الشهادة في سبيله التي طالما حلم بها وتمناها؛ فقد رقت عظمه وضعفت نفسه وكبرت سنه وقد رأى جزءاً من النصر الذي عمل له دهورا بأم عينيه، واستجاب الله دعاءه بعد أن أعذر أمام الله عز وجل - نحسبه كذلك والله حسيبه -

وكان الشيخ أبو حفص الكومندان رحمه الله شديد الشبه بالشيخ أسامة؛ فنفس تقاسيم الوجه ونفس اللحية الموقرة بل ونفس الطول الفارع وضخامة الجسم، وقد كان منفصلاً عن الشيخ أسامة لمصلحة المسلمين ولئلا يفجع المسلمون بمقتل القائدين فكان كل القادة منفصلين عن بعض.

وفي ليلة من ليالي رمضان المباركة وبعد الإفطار؛ كان الشيخ على موعد مع أسود الله الذين كأن من المفترض أن ينفذوا عملية استشهادية كبيرة في فلسطين رتب لها الشيخ، وبعد أن اجتمع معهم ورتب لكل شيء وأكمل النقص ووضع اللمسات الأخيرة للعملية؛ وعظ الشباب وذكرهم بواجباتهم تجاه الأمة الإسلامية وأمام الله عز وجل.

وبعد الاجتماع المبارك ذهب الأسود لتناول السحور عند أحد الإخوة، وبعد أن دخلوا البيت أحس أبو حفص أن أحداً يتابعهم بدون أن يروه، وقرر تغيير البيت إلى بيت آخر، وبعد أن وصلوا للبيت الجديد؛ كان بالفعل يتابعهم أحد الأفغان العملاء من عباد الدرهم والدينار وظن أن هذا الشخص المتابع هو الشيخ أبو عبد الله بشحمه ولحمه؛ فرمى الصفيحة المعدنية بالقرب من المنزل وأبلغ الأمريكان بوجود الشيخ أسامة في هذا المنزل، وأرسلت الطائرات عجلى تريد أن تلقي قذائفها بأسرع وقت ممكن ليخمد نار الجهاد المشتعل... ولكن هيهات وأنى لهم ذلك.

وألقيت قذائف الشيطان على ذلك البيت المتواضع ليلقى الشيخ أبو حفص الكومندان وإخوانه ربهم مقبلين غير مدبرين وهم في نيتهم أن يفتكوا بأعداء الله وينالوا الشهادة في سبيله، ولكن جاءتهم الشهادة كما يتمنون؛ فلا ضير شهادة هنا أوفي أرض العدو، المهم شهادة في سبيل الله والنية المعقودة؛ بلغهم الله عز وجل إن شاء

الله فهو كريم جواد جل وعلا - نحسبهم كذلك والله حسيبهم -

وفي اليوم الثاني بحث الشباب تحت الأنقاض عن جسد أبي حفص الشريف فوجدوه كأنه نائم وعلى وجهه نور وابتسامة ولم يخدش بخدشة واحدة وقد خرجت منه رائحة المسك وقد شمها جميع من حضر.

وفرح أعداء الله بمقتله ولم يتأكدوا من مقتله إلا بعد فترة طويلة بعد أن دفن رحمه الله؛ وبالضد فقد حزن المجاهدون حزناً شديداً وبكوا لفراق شيخهم وأبيهم وعمهم وأخيهم الكبير، فلقد كان رحمه الله يحب الشباب المجاهدين حباً شديداً ويراهم أفضل منه ويحسب أن لهم الفضل حين قدموا إلى أفغانستان للتدريب والجهاد، وما علم أن الفضل كل الفضل لله عز وجل ثم له ولإخوانه حين فتحوا المعسكرات لتدريب الشباب وإعدادهم للعمليات وتهيئتهم لخوض المعارك بل وحتى إطعامهم والتكفل بكل شؤونهم.

لقد كان رحمه الله ذا خلق حسن رفيع مع كل المجاهدين، بل حتى مع العمال الأفغان المساكين؛ يحبهم ويحبونه، الكل يحبه بل إنك تحبه من جلسة واحدة تجلسها معه، يوجه هذا وينصح هذا ويربت على كتف هذا ويبتسم في وجه ذاك، يقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم في كل شؤونه حتى في تبسمه.

ومن حبه للشيخ أسامة بن لادن حفظه الله زوّج ابنته لابن الشيخ محمد بن أسامة بن لادن.

وكان رحمه الله يعد لإنشاء جيش إسلامي نظامي لتحرير بلاد المسلمين، وكان ينصح الشباب المدربين أن يتخصص كل منهم في تخصص عسكري سواء في المدفعية والإسناد أو في الهندسة العسكرية والألغام أو في الاقتحام والتقدم، أو في الأسلحة المضادة للطائرات؛ ليكونوا نواة لهذا الجيش المبارك، ولكنه رحمه الله توفي قبل أن يرى هذا الجيش، لكن الأشبال من بعده عازمون على إنجاح فكرته وتحقيقها وما ذلك على الله بعزيز.

وقد دفنه الشباب وهم يبكون ألماً ولوعةً على فراق أستاذهم وشيخهم، وفي نفس الوقت سعيدون لنيله الشهادة في سبيل الله التي طالما تمناها بعد عمر طويل

منبر التوحيد والجهاد
sw.dehwat.www
moc.esedqamla.www
ofni.hannusla.www
moc.adatag-uba.www

في الجهاد في سبيل الله؛ أكثر من 25 سـنة قضـاها فـي نصـرة ديـن اللـه وإقامـة دولتـه وقهـر أعـداء اللـه مـن الصليبيين واليهود وأذنـابهم، واسـتطاع أن يـوجعهم مـراراً وتكراراً... فرحمه الله ورضي عنه وبلغه منازل الشهداء.

عن نشرة البتار
العدد 13 / جمادى الأولى / 1425 هـ